بر الوالدين

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَاخْفِضْ لَهُمَا ۞ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد...،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

لقد صعد النبي ﷺ المنبر ذات يوم، فقال: "آمين"، فسأله أصحابه عن ذلك؛ فقال ﷺ: "جاءني جبريل آنفًا، فقال: يا محمد! من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له لعنه الله، أو أبعده الله! قل: آمين. فقلت: "آمين".

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

ماذا يرجو العاق لوالديه بعد أن باء بلعنة الله ورسوله ﷺ وملائكته والمؤمنين، فعاق والديه أو أحدهما لعنه الله تعالى، ولعنه جبريل عليه السلام والملائكة ولعنه محمد ﷺ والنبيون والصحابة والصالحون، فماذا يرجو ذلك العاق بعد ذلك من الفلاح أو النجاح؟!

إن اللعن معناه: دعاء على العبد بالطرد من رحمة الله تعالى، ودخول جهنم والعياذ بالله؛ فماذا يرجو من حلت عليه لعنة الله تعالى؟

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

أستحلفكما بالله تعالى إن كان أحدكما مغضبًا والديه أو أحدهما فليسارع بإرضائهما؛ فإنه لا فلاح له ولا نجاح إلا في رضاهما.

فسارع إلى إرضاء والديك، وإلى برهما؛ فإن في ذلك رضا الرب سبحانه، فقد أخبر النبي ﷺ أن رضا الرب في رضا الوالد.

فسارع إلى إرضاء والديك ترضي ربك سبحانه، فإن أرضيت ربك بإرضاء والديك فلا تسل عما يكون لك من الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

* ما ورد في بيان فضل الوالدين ووصية الله تعالى بهما:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1].

في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى بتوحيده، ثم قرن هذا الأمر العظيم بوجوب الإحسان للوالدين وكفى بذلك دليلاً على عظم منزلتهما، ثم أكد على الإحسان إليهما عند الكبر وهما أحوج ما يكونان إلى الإحسان، ثم أوجب لهما الترحم عليهما بعد موتهما، وجعل ذلك في مقابل حق التربية في الصغر: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وخص التربية بالذكر، ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما، وحنانًا عليهما، ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيرًا جاهلاً محتاجًا، فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكساك[2].

---

(١) الإسراء: ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٨٦٠) ط الريان.

وقال بعض الآباء، مذكرًا ولده سبق فضله عليه وإحسانه إليه:

غذوْتُك مولودًا وعلتك يافعًا ... تُعلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسُقمك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقت به دوني فعيني تمهل
تخاف الرَّدَى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

وقد ربط السياق القرآني بر الوالدين بعبادة الله إعلانًا لقيمة هذا البر عند الله بهذه العبارات الندية، والصور الموحية.

هذا، وقد تكررت الوصاية بالوالدين في كتاب الله تعالى فقال-جل وعلا-: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1].

فذكر برهما، وخص الأم بمزيد اعتناء لما تلقاه من عنت ومشقة في حمله، وهي تزداد كل يوم ضعفًا على ضعف، فالمرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل. ثم أمر جل ثناؤه بالشكر له على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية، قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات، فقد شكرهما[2].

وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: "لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أف لنهى عن ذلك، فليعمل العاق[3] ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار"[4].

---

(١) لقمان:١٤.

(٢) تفسير القرطبي(٨/ ٥١٤٦-٥١٤٧) ط الريان.

(٣) فيه ترغيب في البر وترهيب من العقوق ولا يراد به فتح أبواب المعصية أمام البار.ففطرة الأبرار تأبى ذلك، والله أعلم.

(٤) تهذيب تنبيه الغافلين(١٩١).

* بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله:

فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال:" الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال:"بر الوالدين". قلت: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله"[١]. وجعل منزلة بر الوالدين بعد الصلاة مباشرة وقبل الجهاد في سبيل الله.

* الولد من كسب أبيه:

١- عن جابر بن عبدالله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي -فقال رسول الله ﷺ : "أنت ومالك لأبيك"[٢]. يجتاح: يستأصل ومنه سميت الجائحة وهي الآفة التي تصيب الزروع وغيرها فتمحو أثرها. "أنت ومالك لأبيك" أي: على الولد أن يقدم لأبيه ما يحتاجه.

٢- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي مالاً وولدًا، وإن والدي يريد أن يجتاح مالي، قال: "أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم"[٣].

٣- وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:"إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم"[٤].

* رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) صحيح الجامع (١٤٩٨)، وإرواء الغليل (٨٣٨).
(٣) صحيح الجامع (١٤٩٩).
(٤) صحيح الجامع (١٥٦٢).

"رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالد"، والوالد هنا يشمل الأم والأب، لأن كلاً منهما قد شارك في إيجاد الولد بإذن الله، ويفسره الحديث الذي بعده "رضا الرب في رضا الوالدين"[١].

فقد أمر تعالى أن يطاع الأب ويكرم، فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ومن أغضبه، فقد أغضبه، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة، وعلم منه بالأولى أن الأم كذلك، لأن حقها أكثر، فعلى العاقل أن يحترز أن لا يكون عاقًّا لوالديه"[٢].

* بر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يفرج الله بها الكُرب:

ويبدو ذلك واضحًا في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فأخذوا يتقربون إلى الله بأفضل الأعمال؛ حتى يكشف عنهم ما هم فيه.

ففي حديث أصحاب الغار قال أحدهم: "اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيَّ، وإني نأى بي ذات يوم الشجر فلم (آت) حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء"، ففرج الله منها فرجة رأوا منها السماء[٣].

---

(١) بر الوالدين(٣٤)، "صحيح الجامع"(٣٥٠٠) و"السلسلة الصحيحة"(٥١٦).

(٢) "درة الناصحين في الوعظ والإرشاد". تأليف عثمان بن حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم، و"صحيح الجامع"(٢٨٧٠).

* دعوات الوالدين مستجابة:

١- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر"(١).

٢- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم"(٢).

* الجنة تحت أرجل الوالدين:

عن معاوية بن جاهمة: أتيت النبي ﷺ أستشيره في الجهاد. فقال النبي ﷺ: "ألك والدان؟" قلت: نعم. قال: "الزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما"(٣).

وعن أبي سعيد ﷺ أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، فقال: "هل لك أحد باليمن؟" قال: أبواي، قال: "أذنا لك؟" قال: لا، قال: "ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما"(٤).

* من قصص البررة:

بر إبراهيم عليه السلام:

انظر إلى بر إبراهيم عليه السلام بأبيه، وقد كان كافرًا، ولطفه في خطابه، وحرصه على هدايته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ

---

(١) "صحيح الجامع" (٣٠٢٩).
(٢) "صحيح الجامع" (٣٠٢٨).
(٣) رواه الطبراني، وحسنه الألباني.
(٤) "صحيح الجامع" (٩٠٥).

كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1].

بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب، وذلك شأن الإيمان مع الكفر، وشأن القلب الذي هذبه الإيمان، والقلب الذي أفسده الكفر.

ولم يغضب إبراهيم الحليم، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[2].

* الإنفاق على الوالدين حق واجب:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن عباس ومجاهد: فبين لهم تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾أي: اصرفوها في هذه الوجوه كما جاء الحديث: "أمك وأباك وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك"، وفي هذه الآية قدم الله ﷻ الوالدين على الأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة.

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد آتاه الله

---

(١) مريم:٤١-٤٦.

(٢) الجزاء من جنس العمل (١/ ٤٤٣).

(٣) البقرة:٢١٥.

مالًا، ثم لم يؤدِّ حق والديه إلا أحبط الله ﷻ عمله وأذاقه العذاب الأليم"[١].

❁ بر الوالدين بعد موتهما:

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: أنه كان إذا خرج إلى مكة له حمار يترحل عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه فبينما هو يومًا على ذلك الحمار؛ إذ مر به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودِّ أبيه بعد أن يُولي" وإن أباه كان صديقًا لعمر"[٢].

❁❁❁

(١) درة الناصحين في الوعظ والإرشاد (٢٢٨).

(٢) رواه مسلم (٨/ ٦).